مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخاص – آب – Augustus / 2025

تهميش المرأة ونقد الأمومة في الرؤية الشعرية لأبي العلاء المعري

م.م انعام قاسم حسين التميمي.
الجامعة التقنية الشمالية/ المعهد التقني الطبي/كركوك.

Inaam.qasimhu@ntu.edu.iq

الملخص. في زمنٍ هيمنت فيه النُظم الذكورية وتُوِّجت فيه الأمومة بوصفها غاية وجود المرأة، جاء أبو العلاء المعرّي كصوتٍ فكريٍّ شاذّ ومتمرّد، يفتح جرحًا فكريًا لم يُطَبّب بعد. لم يكن المعري شاعرًا تقليديًا يرثي المرأة أو يمجّدها ضمن الصور النمطية، بل كان فيلسوفًا عدميًا ينظر إلى الحياة بوصفها عبثًا، ويرى في الأمومة آلية قسرية لاستمرار المعاناة. وهنا نتحرى بعمق كيف عَمِد المعري إلى تهميش المرأة في شعره، لا من موقع كراهية، بل من زاوية فلسفية رافضة للوجود ذاته، حيث تصبح الأم مجرد أداة لإنتاج الألم. ومنها ننطلق إلى تحليل نصوص المعري من دواوينه الأساسية، ونربطها بسياقات فكرية حديثة، لاسيما من منظور النقد النسوي والوجودي, ليكشف عن موقف المعري من مؤسسة الأمومة ذاتها، بوصفها عماد نظام اجتماعي قمعي, بذلك، فإن المعري لا ينتقد النساء كأفراد، بل ينتقد آليات إنتاج المعاناة المرتبطة بدور الأم كخاضعة ومُنتِجة, إذْ تتّخذ الأمومة صفة القداسة في بنية الوعي العربي التقليدي، وتُصاغ في خطاب الثقافة باعتبارها وعاءً للخلق، وحارسةً للأخلاق، وأداةً للتكاثر الاجتماعي, لكن في ثنايا النص الشعري لأبي العلاء المعرّي، تنفجر هذه التصوّرات من الداخل، ويُعاد النظر في ماهية "الأنثى" و"الأم" بوصفهما تمثّلين لجبرية الوجود، لا لرحمته, ولم يكن المعري كارهًا للنساء، بل كارهًا لاستمرار النسق الكوني القائم على الألم، وقد رأى في المرأة – تحديدًا في الأم – حلقةً من سلاسل العبودية للزمن والتكرار البيولوجي القسري. وينطلق هذا البحث لتقديم قراءة فلسفية في شعر المعري، تُعيد تموضع مفاهيم المرأة والأمومة في إطار رؤيته التشاؤمية الكونية, فنحن لا نواجه شاعرًا يهمّش المرأة من موقع فوقي، بل مفكرًا يرفض العالم بأسره، ويشتبك مع الأمومة لا كحنان، بل كشرط

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وجودي فرضيّ. تظهر الأم في لزومياته وسقط الزند لا كمصدر للحياة، بل كبدايةٍ لجريمة وجودية لا طائل منها: "هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد".

Abstract. In an era dominated by patriarchal norms where motherhood was glorified as a woman's highest calling, Abu al-Ala' al-Ma'arri emerged as a radical and defiant voice. Unlike traditional poets who idealized or mourned women, al-Ma'arri approached the subject from a deeply philosophical and nihilistic stance. His poetry challenges not only the social marginalization of women but also the institution of motherhood itself, viewing it as a coercive mechanism that perpetuates suffering through birth**.** This study explores how al-Ma'arri's poetry marginalized women—not out of misogyny, but as a consequence of his rejection of existence and the structures that sustain it. We analyze selections from his major poetic works in light of existentialist and feminist criticism, unveiling how he critiques motherhood as a systemic role rather than personal devotion. Ultimately, al-Ma'arri positions the mother as an unwilling agent of life's cruelty, exposing a profound skepticism toward inherited gender roles and biological destiny. In classical Arab-Islamic culture, motherhood is exalted as sacred, and womanhood is framed within rigid paradigms of moral guardianship, domesticity, and reproductive duty. Yet, within the haunting, cerebral poetry of Abu al-Ala' al-Ma'arri, these constructs unravel. His vision is not merely dismissive of women as individuals, but deeply critical of the metaphysical structure in which woman—and particularly the mother—is bound as an agent of biological inevitability and existential despair**.** This paper offers a philosophical and literary excavation of al-Ma'arri's poetry, focusing on his marginalization of women and his radical critique of motherhood. Al-Ma'arri's disdain is not rooted in misogyny, but in a cosmic pessimism: life itself, to him, is an unending cycle of pain, and motherhood becomes the gateway to that suffering. In his famous line, "This is my father's crime against me, and I committed none against anyone," the poet indicts not only patriarchy but the very act of birth**.** Through a close reading of Luzūmiyyāt and Saqṭ al-Zand, this study positions al-Ma'arri as a proto-existentialist, interrogating the sanctity of maternal roles and exposing the ideological apparatus that romanticizes motherhood while concealing its function as a vehicle for imposed life.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أولاً: مفهوم التهميش.

لغةً من: ه.م.ش أي همش الهمش، الكلام والحركة، همش وهمش القوم فهم يهمشون ويهمشون وتهامشوا، وامرأة همشى الحديث، بالتحريك: تكثر الكلام وتجلب، والهمش: السريع العمل بأصابعه، وهمش الجراد: تحرك ليثور، والهمش: العض، وقيل: هو سرعة الأكل، و(همَش) بفتح الميم، و(همِش) بكسر الميم: القوم فهم يهمشون وتهامشوا، والمرأة همش الحديث كثيرة الكلام والجلبة، والهامش: حاشية الكتاب (ابن منظور، 1994: 15/ 92).

أما اصطلاحاً: فتشير كلمة تهميش إلى فئة من المجتمع تعرضت للحرمان من ممارسة نشاطاتها الطبيعية التي تتوافق مع قواعد و أسس المجتمع، فالإقصاء هو العملية الاجتماعية التي يتم بها تهميش الأفراد وبخاصة تهميش جماعة ما في مجتمع أكبر، كإقصاء الطبقة الدنيا مثلاً، وهو التخلص من غير المرغوب بهم أو الذين تراهم بلا منفعة أو استثنائهم و تهميشهم من أنظمة الحماية و التفاعل السائدة في المجتمع، ومن ثم تقليص فرصهم و مواردهم المالية التي تعينهم على البقاء (علي، 2016).

كذلك يعرف بأنَّه: عملية اجتماعية أو ثقافية يتم من خلالها إقصاء أفراد أو جماعات من المشاركة الفعّالة في المجتمع، سواء سياسيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا، ويحدث التهميش حين تُهمَّش فئة معينة بسبب الجنس، أو الطبقة، أو الدين، أو العرق، أو حتى التوجه الفكري، مما يؤدي إلى إضعاف قدرتها على التأثير في القرارات المصيرية أو نيل حقوقها الكاملة (صالح، 2018: 41).

ومن أنواعه: الاستبعاد أو التهميش الجبري (القسري): وهو الأكثر انتشاراً، وهو الذي يركز على تهميش الطبقات الفقيرة والمحرومة وغيرها، والمهمشون جبرياً أجبرتهم الظروف أو العوامل الاقتصادية، أو الاجتماعية، وعلى ذلك فهم يعانون حرماناً اقتصادياً، واقصاءً اجتماعياً يظهر في المسكن أو المأكل أو الملبس أو العلاقات الاجتماعية أو الخدمات المؤسسية (محمد علي: 148).

أما الآخر فهو الاستبعاد والتهميش الطوعي: وهو عن طريق الاختيار أو انطلاقاً من الرغبة في الاستبعاد وهو استبعاد الأغنياء أنفسهم من الحياة العامة ألنهم يملكون رأس املال الكافي، الذي يضمن لهم العيش في رفاهية فلهم مؤسساتهم التربوية والتعليمية الخاصة من دور الحضانة إلى الجامعات الخاصة وما إلى ذلك من مستشفيات ووسائل نقل ومواصلات، أي أنهم يصنعون مجتمعاتهم الخاصة ويعيشون فيها بعيداً عن المجتمع الأصلي ولا يسمحون لعامة الشعب أو أعضاء المجتمع الباقين أن يتغلغلوا بداخلها، فلهم حياتهم الخاصة ونظامهم الخاص وعلاقاتهم الاجتماعية الخاصة (محمد علي: 138).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومن التهميش ما هو اجتماعي، واقتصادي، وسياسي، وثقافي، ويظهر الاجتماعي في الإقصاء من العلاقات أو الفضاءات العامة، في حين أن التهميش الاقتصادي يتمثل في الفقر وقلة فرص العمل، أما السياسي فيُجسَّد في غياب التمثيل في مراكز القرار، في حين يظهر التهميش الثقافي في تجاهل ثقافة أو لغة معينة في الإعلام والتعليم (بروديل، 2006: 109)

ومن أهم أسباب التهميش: النظام الطبقي، وسياسات الدولة غير العادلة، والنزعة المركزية، والتمييز القائم على النوع أو العرق، بالإضافة إلى الإرث التاريخي للاستعمار أو الاستبداد، كما تلعب النظم التعليمية والإعلامية دورًا كبيرًا في تكريس ثقافة التهميش من خلال إعادة إنتاج الصور النمطية (عبد الرحمن، 2005: 58).

أما سمـاته: فتتمثل في: (شتوح: 106).

- شكل الاتصال: فالعالقات بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع متباعدة، والمشاركة المجتمعية غير متكافئة.
- الدينامية والتراكمية: يتسم بالعمليات التراكمية والتطورية التي يتم فيها تشكل الخبرات الحالية نتيجة الخبرات الماضية والتي تؤثر في الخبرات المستقبلية.
- النسبية: فهو قابل للقياس في ظل المعايير المجتمعية التي تميز مجتمعاً من الآخر، فعند قياسه يختلف التقييم في الزمان و المكان أي أن الحكم ليس مطلقا.
- تعدد الأبعاد: وله العديد من الأبعاد منها ما هو اجتماعي، اقتصادي، سياسي، ثقافي.
- القوة: فهو يعبر عن إرادة أصحاب القوة القادرين على السيطرة والتحكم ومن ثم اتخاذ القرارات، وتحديد الحدود و الفواصل.
- أما آثاره؛ فهي خطيرة على الأفراد والمجتمعات، ومنها: الشعور بالاغتراب، العنف الاجتماعي، ضعف الانتماء، والتطرف، وتفاقم الفجوة بين المركز والهامش، كما يؤدي التهميش إلى إهدار الطاقات البشرية ويُعوق التنمية المستدامة (رشيد، 2012: 23).

ويبرز التهميش في عدة صور منها: تهميش المرأة، وتهميش الأقليات، وتهميش الريف لصالح المدن، كما تُمارس السلطة أحيانًا تهميشًا منهجيًا لفئات معارضة أو مناطق جغرافية معينة، ما أدى إلى اختلال في توزيع الثروات والفرص (بشارة، 2011: 189).

ثانياً: تهميش المرأة مُجتمعياً.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ليست قضية تهميش المرأة طارئة على مجتمعاتنا، بل هي جزء بنيوي من نسيج ثقافي تاريخي صاغ حضور المرأة بوصفه "ضدًّا صامتًا"، وظلًّا لا يُرى إلا في انعكاس الرجل. فالمرأة، في أغلب تشكيلات الوعي الاجتماعي، ليست كائنًا مستقلًا بل هوية تم إملاؤها من الخارج، تُعرّف بوظيفتها لا بوعيها، وتُثمّن بمقدار قربها من "النموذج المثالي" الذي صنعته الذكورة الثقافية (السعداوي، 1982: 23).

ويأتي تهميش المرأة بأشكالٍ مختلفة؛ فالمرأة ليست مهمَّشة لأنها فقط خارج مراكز القرار، بل لأنها خارج صياغة المعنى نفسه، ويأتي تهميشها هنا ليس نقصًا في الحضور الكَمّي فحسب، بل إقصاءً كيفي من دوائر الشرعية الرمزية، حيثُ يعاد إنتاج هذا التهميش عبر اللغة، والأنساق التعليمية، والتمثيل الثقافي، حيث تُختزل المرأة في أجسادها، أو في أدوارها الإنجابية، أو في فضائل الطاعة والصمت (بورديو، 2012: 51)، بينما يتجلى التهميش المعنوي للمرأة عبر الرموز واللغة والتي تكمن فيها أعمق مظاهر التهميش إذْ إنَّها تستبطن الهيمنة؛ فاللغة لا تنقل فقط الواقع بل تُنتجه وتُعيد ترسيخه وذلك في التعبيرات الشائعة، أو في الأمثال الشعبية، أو كتب التراث، فنجد المرأة دائمًا في موقع النقص، العجز، الشك، أو الجمال السلعي، وبهذا تتحول الأنثى إلى "نصّ" قابل للتأويل الذكوري المستمر، لا ذاتًا ناطقة بوجودها (حسن، 2020: 69).

أما في المجال المعرفي فقد هُمشت المرأة، إذْ ظلت لعقود طويلة خارج الفلسفة، والتأريخ، واللاهوت، والتأويل، وحتى حين ظهرت كان ظهورها على هامش العقل الذكوري المهيمن، كاستثناء يُحتفى به لا كفاعل متساوٍ، والمأساة أن هذا التهميش كثيرًا ما يُمارَس باسم العقلانية، أو الدين، أو حتى "الطبيعة" (بوفوار، 1994: 15)، أما أخطر أنواع التهميش هو ذاك الذي يتقن التنكّر في زيّ الرعاية، فحين تُمنح المرأة حمايةً مشروطة، أو يُقال إنها "ملكة في بيتها"، فإنها تُحاصَر داخل قالب من الوصاية الناعمة، وتُسجن في أدوار قد تبدو مُبجّلة لكنها في جوهرها تقييد خفيّ، فالحرمان من القرار باسم العاطفة، ومن الحرية باسم الفضيلة، هو الوجه الجديد للتهميش المموّه (الفتى، 2019: 112).

ثالثاً – تهميش المرأة والأمومة في الأدب العربي.

لطالما كان الأدب العربي مرآةً تعكس وعي الأمة وثقافتها، لكنه في الوقت ذاته، قد يعكس تحيزاتها وصمته، فقد ظهرت المرأة في النصوص الأدبية بوصفها كائنًا هامشيًا، تُعرّف غالبًا من خلال موقعها من الرجل، لا من خلال ذاتها، أما الأمومة، فقد رُفعت إلى مصاف القداسة، لكن هذه القداسة غالبًا ما

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

كانت قيدًا يخفي خلفه أدوارًا نمطية وسلطوية تُفرض على المرأة (ضيف، 1983: 77)، فقد كانت المرأة في الشعر الجاهلي إما موضوعًا للغزل أو رمزًا للعار، ولم تُمنح صوتًا، بل كانت مرآةً تُعكس فيها شجاعة الفارس أو ألم الشاعر، وفي الأدب العباسي، رغم ازدهار الفكر، بقي حضور المرأة مشروطًا، مقصورًا على الترف أو الفتنة، أما في النثر، فصوتها لا يُكتب إلا عبر أعين الرجال (عباس، 1971: 146).

أما الأم في الأدب العربي فقد اضحت شخصية متناقضة؛ فهي مُمجّدة في الشعر الصوفي والوجداني بوصفها مصدر الحنان المطلق، لكنها في الوقت ذاته مغيّبة كذات فاعلة، فتقديس الأم غالبًا ما يُخفي تحييدها، ويجعلها محصورة في رمزية التضحية، لا ككائن حر يمتلك حق الحياة والتفكير، ويظهر هذا جليًا في أدب الوعظ والرثاء الذي يجعل الأم نموذجًا للعطاء الصامت، لا للمقاومة أو الوعي (غصوب، 1991: 55).

ومع بروز الأدب النسوي العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت الكاتبات في تفكيك صور المرأة والأم في النصوص التقليدية، ولم تعد الأم صورة مطلقة للقداسة، بل باتت تُكتب بوصفها إنسانة تواجه القمع، والعزلة، والتهميش في ظل بنى اجتماعية أبوية؛ فروايات نوال السعداوي، وغادة السمان، وهدى بركات، تكشف وجوهًا متعددة للأم والمرأة: لا كرمز، بل كصوت يحتج ويكتب (عاشور، 1999: 34)، وليس التحدي في أن تظهر المرأة في الأدب، بل في الكيفية التي تظهر بها، فالتمثيل الرمزي وحده لا يكفي إن لم يكن مصحوبًا بوعي نقدي لبنية التهميش، والمطلوب اليوم ليس مزيدًا من الصور النمطية المغلّفة بالثناء، بل اختراق النصوص لإعادة بناء مفهوم المرأة والأمومة ضمن سرديات جديدة تنبع من ذاتها، لا من نظرة الآخر إليها (عادل، 2020: 102).

رابعاً: السياق الاجتماعي والفكري لرؤية المعري.

في بيئة غلب عليها التصور الذكوري المحافظ، نشأ أبو العلاء المعري حبيسًا في عزلته وبصره، لكنه لم يكن حبيسًا في رؤيته الفكرية، فقد شهد القرن الرابع الهجري تكريسًا لوظيفة المرأة داخل المنظومة الذكورية، فتم اختزالها في دورَي الزوجة والأم، حيث تمجيد الطاعة والتضحية، لكن المعري، بروحه الفلسفية، واجه هذا النظام بنقد وجودي عميق، لا يعارض المرأة بوصفها كائنًا، بل ينتقد انحباسها في أدوار اجتماعية مفروضة، ويتجلى ذلك في عزوفه عن الزواج، ورفضه الاستمرار في الدورة الحياتية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت (ناصيف، 2003: 81).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وإذا كانت قراءة المعري تقليديًا تُفهم في إطار تشاؤمه الفردي، فإنّ المناهج النقدية المعاصرة تُعيد تموضع رؤيته بوصفها نقدًا جذريًا لمؤسسة الأمومة ذاتها، تلك التي صوّرتها الثقافات بوصفها مصدر خلاص أخلاقي (بو خزام، 2015: 88)، فالمعري يكشف عن عنف بنيوي مقنّع داخل فكرة الأم، التي لا تختار بل تُستخدم، لا تُنتج ذاتها بل تُنتج غيرها، وبهذا المعنى فإنَّ تهميش المرأة في شعره لم يكن إقصاءً سلطويًا بل فضحًا لدور اجتماعي قهري تم إلباسه قداسة كاذبة.

فقد نشأ المعري في بيئة محافظة يغلب عليها الطابع الذكوري، حيث كانت المرأة تعاني من إقصاء اجتماعي وثقافي، وكان يُنظر إليها بوصفها تابعة للرجل، ومرتبطة بوظيفة الإنجاب فقط (الطاهر، 1997: 45)، وقد تأثر المعري بهذا المحيط لكنه لم يقبل به كليًا، بل عبّر عن نقده لهذا النظام عبر شعره ونثره، رافضًا التقاليد التي تحصر المرأة في دائرة الأمومة والطاعة العمياء (ناصيف، 2003: 81).

خامساً: تهميش المرأة ونقد الأمومة في الرؤية الشعرية لأبي العلاء المعري.

يندرج خطاب المعري الشعري ضمن رؤية فلسفية سوداء ترى في الإنسان كائنًا مسجونًا في دورة الألم، وكانت المرأة في هذا السياق رمزًا لتكرار هذا الألم عبر الإنجاب والخضوع لسلطة الرجل، ولا يعكس المعري كراهية مباشرة للمرأة بقدر ما يرفض فكرة الحياة نفسها، ويُحمّل المرأة — بوصفها الوسيط الحيوي — جزءًا من هذه المسؤولية، فقد جاء شعر المعرّي محمّلًا برؤية وجودية ترى في الحياة شرًا متأصلًا، وكان ينظر إلى المرأة كأداة في تكريس هذا الشر من خلال الولادة، ويظهر التهميش في تصويره للمرأة على أنها ناقصة عقلًا ودينًا، وفي تغييب صوتها وحصرها في أدوار نمطية (العجيلي، 2008: 212)، فنقرأ في لزومياته قوله: (المعري، 1980: 113/2)

ولا تأخذنّ المرأة إلا لتسكـــــنَ ولا تسكنُ النفسُ اللئيمةُ في الغنى

وفي هذا البيت يختزل المعري المرأة في أداة وظيفية لإشباع الغريزة والسكون النفسي، لكنه ينكر تحقق هذا السكون أصلًا، مما يعكس فراغ الدور الذي تُفرض فيه المرأة، ويظهر التهميش بجلاء في تغييب صوتها وحصرها في وظيفة خادمة للرجل، لا شريكةً في الحياة أو الفكر، فهو لا يرى المرأة إلا من زاوية الشهوة أو أداة إنجاب، متجاهلًا أدوارها الأخرى في المجتمع.

إنَّ آراء المعري في المرأة ودورها تؤكد وجود عقدة الشك عند المعري في المرأة، وعلى وجه التحديد في نساء عصره، ومنْ كان شكه فيها من جميع الوجوه فكيف يقترن بها؟! وكيف يسلم أمره إليها وهو

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الرجل الضرير؟! وإنْ حرَم الشاعر على نفسه الزواج لظروفه الخاصة فإنَّه لم يحرمه على غيره، لكنه اشترط شروطاً معينة، ومن ثم كره الزواج ولم يتزوج، وهو في ذلك غير مستقر على رأي، فهو ينصح الفتى بعدم الزواج، بينما ينصح الفتاة بالزواج قائلاً: (المعري: 1980: 1/)

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيـها ... وحوِّف ابنك من نسلٍ وتزويـــج

وإذا قنع الرجل بأنْ يتزوج واحدة فليختار المهذبة الحصينة الشريفة وليختر من توافقه في السن والمقام الاجتماعي، وإلا فإنَّه سوف يتعرض لصدمات لا عداد لها ولا طاقه له لتحملها، فيقول في هذا الشأن: (المعري، 1980: 205/1)

ولا يتأهلن شيخ مُقـــــــل ... بمُعصرة من المتنعمـــــات

ولكن عُرس ذلك بـــــنتُ دهرٍ ... تجنبت الوجوه محممـــــات

وإن أُرغِمنَّ صاحبة بـــــضرٍ ... فأحذر أنْ تروع بمعرمـــات

رجاجٌ إنْ رفقت بـــــه وإلاَّ ... رأيت ضروبه متقصمـــــات

ويتخذ المعري موقفًا أكثر راديكالية حين يتناول الأمومة والنسل، في حين نرى أن الأم في عيون غيره، مصدراً للحنان والعطاء، أما هو فيراها الجسر الذي ينقل الألم من العدم إلى الوجود، وهذه من أجرأ مواقف المعري التي تُدين فكرة الإنجاب والأمومة، إذْ يرى في الأمومة سببًا في استمرار الآلام والشرور (نصر، 2011: 59)، ومن اشهر اقواله في ذلك قوله: (المعري، 1980: 12/1)

هذا جناه أبـــــي علـــــيّ ... وما جنـــيتُ على أحـــــد

والزواج في نظر المعري جنايةٌ على كائن بريء يجيئ به إلى عالم اللا راحة عالم لا خير فيه والذي دعم هذه النظرية لديه أنَّه اصطدم ببيئة رأى فيها ما رأى من التحلل الخلقي والتفسخ الاجتماعي، فقد رفض المعري الزواج حتى ينجب أطفالاً يتعرضون لمثل ما تعرض له من ألمٍ وحرمان، فكما أنَ الأبن قد يكون سبباً في شقاء والديه فقد يشقى هو بهما، فأحياناً يكون الولد عبئاً على والديه ويسبب لهما آلاماً إذا مرض أو فشل في عمله أو حياته أو اذا توفيَ فإنَّه يسبب لوالديه حزناً كبيراً، ويرى أنهما لو انقطعا عن النسل لكانا في مأمنٍ من ذلك (صبري: 307)، ونلحظ ذلك في قوله: (المعري، 1980: 305/2)

أرى ولد الفتى عبئاً عليـــــه ... لقد استراح الذي أمسـى عقيمـــاً

فإما أن يربيهُ عـــــــدوا ... وإما أن يُخلفه يتيمـــــــــاً

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ويكرر فكرته في اللزوميات، منتقدًا الأمهات اللواتي يُنجبن دون إدراك لما يورطن فيه أبناءهن من معاناة الحياة إذْ قال: (المعري: 1980: 222/1)

لو كان يُدرى ما المآل، لما وُلدتُ ولأحرقتْ أمّي صحائفَ مولـدي

هذا الرفض الصريح لدور الأم يعكس رؤية فلسفية وجودية تنكر جدوى الحياة وتنظر للأمومة بوصفها فعلًا لا أخلاقيًا إن تمّ دون وعي، فليست هذه أبيات رثاء، بل صرخات ضد فعل الإنجاب ذاته، وهو ما يُعبّر عن فلسفة تنكر الجدوى من الحياة وتُجرّم الفعل الأمومي لا لأنه فعل شرير، بل لأنه غير واعٍ، فالأم هنا لا تُنتقد كفرد، بل كوظيفة اجتماعية قهرية تُكرّس لاستمرار معاناة الوجود.

وتُعيد الدراسات الحديثة قراءة خطاب المعري بوصفه انعكاسًا لبيئته، لكنها أيضًا ترى فيه وعيًا نقديًا متقدّمًا رفض الأدوار الجبرية للنساء (بو خزام، 2015: 88)، فرغم نزعته الذكورية، فإن إنكاره لفكرة الإنجاب يفتح بابًا لنقد المؤسسة الأبوية التي تُكرّس المرأة أداة لا غاية.

ونراه يتراجع عن رأيه في عقم المرأة فيرى أنَّه لا بأس من وجود أولاد شريطة توفر الخير لهم:

خير النساء اللواتي لا يلدن لكم فإنْ ولدن، فخير النسل ما نفعـــا
وأكثر النسل يشقى الوالدان بـه فليته كان عن آبائه دُفعـــــــا

وذهب بعضهم إلى أنْ المعري رأى الشقاء يأتي من النسل فلسفياً فيما يتعلق بالمنسول، واجتماعياً فيما يتعلق بالتناسل، أما المنسول فإنَّ والداه سيأتيان به إلى دار شقاءٍ وعذاب (فروخ: 461)، فيقول: (المعري، 1980: 53/1)

على الولد يجني والد، ولو انهـمْ ولاةٌ على أمصارهم، خطبـــاء
وزادك بعداً من بينك، وزادَهـــم عليك حقوداً، أنهم نجبـــــاء
يرون أباً ألقاهم في مـــــؤرِّبٍ من العقِ، ضلّت حَلَّه الأُربـــاء

وأما الناسل فيلقى العذاب والشقاء من أولاده أنفسهم ويسبب أولاده أذى في جسمه وفي ماله وجاهه، ثم أنّه يلقى شقاءً نفسياً مما يصيب أولاده من المصائب في الحياة (أبو صالح، 2004: 97)، فقال في ذلك: (المعري، 1980: 293/2)

صَحَبْنك فاستفدت بُهنَّ ولـــداً اصابَك من أذاتك بالسّـــــمات

وهو كذلك معتقدُ بما سار عليه الحكماء المتقدمين في هذه المسألة، إذْ يقول ابن خلكان في عدم الزواج والانجاب لدى المعري؛ هو اعتقاد الحكماء والفلاسفة، فإنَّهم يقولون: ايجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم، جنايةً عليه، لأنه يتعرض للحوادث والآفات (بن خلكان، 1997: 115/1).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ويؤكد المعري النصح بالعفة ثم يتجاوز ذلك إلى تكرار فكرته وهي نصح الزوج بعدم الزواج فيحذره من عواقبه ومن شر التناسل، ومما يلفت النظر هو تناقضه في هذه الفكرة عنما يحث الفتاة على عكس ما يجنب الرجل منه، وحسب فلسفته الدنيوية في هذا الأمر فإنَّ ذلك ممكن ما دامت الغاية الأساسية من نُصحه هي الامتناع عن التناسل، والرجل على كل حال إنْ أراد النكاح فليكتفي بواحدة، وإنْ تزوج اثنتين كان مضطراً أن يحارب من جبهتين، وإذا تزوج ثلاثاً جلب على نفسه بليةً ثم كان كمن جلب الشقاء على نفسه بنفسه (فروخ: 42). فيقول: (المعري، 1980: 407/1)

إذا كنت ذا ثنتَين فاغد مُحـــارباً ... عدُوَّين واحذَر مِن ثلاث ضرائِـرِ
إن هنَّ أَبدينَ المودةَ وَالرضـــا ... فكم من حقودٍ غيّبت في السرائِرِ
قرانُك ما بين النساء أَذِيَّةٌـــــ ... لهنَّ فلا تَحمل أَذاةَ الحرائـــرِ

وقد سعى المعري لتبرير مبتغاه من تعطيل التناسل والامومة معلاً ذلك بفساد الجنس البشري من أصوله إلى فروعه، فأبو العلاء الذي رفض الحياة رفضاً قاطعاً لأجل ذلك لا عجب أن يرفض متاع الاولاد والزواج وليس هذا ضربٌ من التشاؤم بقدر ما هو هروب من ظروف الحياة التي عاشها والتي وجد أن لا جدوى من اصلاحها، فالأمر عند الامعري هو فساد الحياة والمجتمع (فروخ: 179).

ومع كل ما ينسب المعري إلى الوالدين من الجناية على أولادهم لانهم يأتون بهم إلى هذا العالم المملوء بالشقاء والآلام فإنَّه يحث الابناء على إكرام آبائهم والمبالغة في إكرام امهاتهم، في مثل قوله: (المعري، 1980: 392/2)

العَيشُ ماضٍ فَأَكرِم والِدَيكَ بِـــهِ ... وَالأُمُّ أَولى بِإِكرامٍ وَإِحســـــانِ
وَحَسبُها الحَملُ وَالإِرضاعُ تُدمِنُهُ ... أَمرانِ بِالفَضلِ نالا كُلَّ إِنســـانِ

وقوله: (المعري، 1980: 293/2)

وَأَعطِ أَباكَ النَصفَ حَيّاً وَمَيِّتـــاً ... وَفَضِّل عَلَيهِ مِن كَرامَتِها الأُمـّا
أَقَلَّكَ خِفّاً إِذا أَقَلَّتكَ مُثقِـــــلاً ... وَأَرضَعَتِ الحَولَينِ وَاِحتَمَلَت تِمّا

وعلى عكس المعري، فإن شعراء كالمتنبي وأبو تمام عبّروا عن احترام للأم والأمومة، وإنْ بحدود سياقهم الزمني، غير أن المعري يتفرّد بنزعته النقدية اللاذعة التي تجذّر نقد الأمومة داخل رؤية فلسفية أوسع تقوم على رفض الوجود (موسى، 2007: 33)، وذلك بسبب ما لاقه في حياته من غبنٍ وشقاء، فلم يشأ أنْ يعرض نسله لمثل تلك المواقف الصعبة، حتى أنَّ خير النساء وافضلهن عند المعري هنَّ اللواتي لا ينجبن، ويرى كذلك أنَّ الوجود البشري علَّةً قائمة بوجوده، وبفنائه ينتهي كل شر، فنادى من

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أجل ذلك بالتخلي عن فكرة الزواج لئلا ينجب الفرد له أعداءً، وكل ذلك صاغه بأسلوب الناصح الراعي لمصالح البشرية كما يعتقد هو! (صبري: 302)، فمن الطبيعي بعد ذلك أنْ يعرض عن النسل بل عن الزواج قاطبةً وينهي عنه، ومن ذلك قوله: (المعري، 1980: 378/1)

فإنْ أنت لم تملك وشك فراقــها فعِفَّ ولا تنكح عواناً ولا بـــــكراَ

وجاء ذلك امتداداً لسوء ظنه بالنساء واعتقاده أنَّ العفة والاحصان في النساء نادر، إذْ رأى انَّ الزواج شرٌ على الرجل لأنه يكلفه الثقل والمتاعب وإنْ رأى أنَّ الزواج خيرٌ للمرأة لأنّه يرفع عنها أثقال الحياة فأمر بذلك والدها أنْ يلتمس لها الزواج (حسين، 1982: 307)، فقال: (المعري، 1980: 229/1)

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيـها وخوّف ابنك من نسلٍ وتزويـــــجٍ

فلما فرغ لنفسه كره الزواج، فعاش ولم يتزوج وأعلن اعجابه بسيرة الرهبان بقوله: (المعري، 1980: 248/1)

ويعجبني دأب الذين ترهبـــوا سوى أنفسهم كدَّ النفوس الشحائـح

بعد الذي تقدم نختم قولنا بموجزٍ عن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي:

1. من خلال رؤية المعري يتضح لنا أنَّه كوَّن له فلسفة خاصة عن المرأة ولا تأي هذه الفلسفة الخاصة إلا بعد احتكاك مباشر بهخا والاطلاع على خباياها النفسية وغيرها.، لكن المعري يلام على رأيه في المرأة في جعلها مصدر كل شر وهو لم يتطرق لها من الناحية العقلية بل الاجتماعية فحسب والتي كانت بحسب ما هو سائد في مجتمعه. وإن كان البعض يلتمس له عذراً فيما صبَّه على المرأة من ظلمٍ وقسوه ويعزون ذلك الى سوء وفساد البيئة التي كان يعيشها المعري آنذاك.
2. تتجلى في شعر أبي العلاء المعري رؤية فلسفية متطرفة تنظر إلى الأمومة لا بوصفها نعمة، بل باعتبارها أداة تكريس للألم البشري، وليست المرأة في خطابه هدفًا للهجوم، بل رمزًا لوظيفة وجودية مفروضة يجب تفكيكها.
3. تجاوز ابو العلاء الخطاب الأخلاقي السائد ليطرح تساؤلات وجودية عن معنى الحياة، والحرية، والاختيار، فالمعري في نقده للأم، لا يهدم المرأة، بل يهدم جدران الزنزانة التي أُقفلت عليها باسم الحنان والخلق.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

4. ليست رؤية المعري تجاه المرأة والأمومة مجرّد مواقف فردية، بل تعكس فلسفة عميقة قائمة على التشاؤم والعدمية والرفض الجذري للتقاليد الاجتماعية، وإن كانت رؤيته تحمل طابعًا تهميشيًا في ظاهرها، فإنها تطرح أسئلة وجودية وأخلاقية تستحق التأمل والنقد المعاصر، خاصة في ضوء القراءات النسوية الحديثة.
5. نجد انَّ المعري بالغ في نظرته تجاه الزواج والنسل، فقد كانت نظرة ذاتية اكثر منها موضوعية، فالزواج والنسل سنة الحياة التي فطر الناس عليها لا لأسبابٍ اعتباطية وإنما لأسرارٍ أوجدها الخالق، فكان واجباً عليه وهو الذي آمن بالله مطلقاً انْ يؤمن بقضائه وقدره وسننه في الوجودِ.

المصادر:

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. (1994). لسان العرب. الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين. ط/3، بيروت: دار صادر.
[2] أبو صالح، لبابة. (2004). المرأة عند ابو العلاء المعري. مجلة الحرس الوطني السورية، عدد ربيع الأول.
[3] بروديل، فرنان. (2006). الزمن الاجتماعي والاقتصادي. ترجمة: بشير السباعي، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
[4] بشارة، عزمي. (2011). المجتمع المدني (دراسة نقدية). قطر: المركز العربي للأبحاث.
[5] بن خلكان، أبي العباس. (1997). وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان. تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط/1، بيروت. لبنان: دار إحياء التراث.
[6] بو خزام، سلمى. (2015). المرأة واللغة في التراث العربي. بيروت: المركز الثقافي العربي.
[7] بورديو، بيير. (2012). الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمى مبارك، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
[8] حسن، لُجين. (2020). اللغة وتكريس دونية المرأة. مجلة الفكر المعاصر. العدد 14.
[9] حسين. طه. (1982). المجموعة الكاملة لمؤلفات (ابو العلاء المعري). ط/2، بيروت. لبنان: دار الكتاب العالمي، مكتبة المدرسة.
[10] دي بوفوار، سيمون. (1994). الجنس الآخر. ترجمة: نهاد إبراهيم، بيروت: دار الآداب.
[11] رشيد، أمينة. (2012). النسوية والتهميش الاجتماعي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد

.125
[12] السعداوي، نوال. (1982). المرأة والجنس. بيروت: دار الآداب.
[13] شتوح. فاطمة. سيكولوجية التهميش والاقصاء الاجتماعي. جامعة باجي مختار. قسم علم النفس. مخبر تحليل العمل والدراسات الأرغونوميا.
[14] صالح، سامي. (2018). التمييز الاجتماعي وأبعاده الثقافية. القاهرة: دار النهضة.
[15] صبري. زهدي. (بلا تأريخ). موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري. دار صبري.
[16] ضيف، شوقي. (1983). الفكر والفن عند العرب. القاهرة: دار المعارف.
[17] الطاهر، عبد العزيز. (1997). المرأة في الشعر العربي القديم. بيروت: دار الفارابي.
[18] عادل، بشرى. (2020). تمثيلات المرأة في الرواية النسوية المعاصرة. مجلة السرديات الحديثة، العدد 9.
[19] عاشور، رضوى. (1999). المرأة والكتابة. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
[20] عباس، احسان. (1971). تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت: دار الثقافة.
[21] عبد الرحمن، طه. (2005). الحق العربي في الاختلاف الفلسفي. بيروت: المركز الثقافي العربي.
[22] العجيلي، سالم. (2008). المرأة في فلسفة المعري. حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، مجلد 32.
[23] العروي، عبد الله. (2006). مفهوم الدولة. بيروت: المركز الثقافي العربي.
[24] علي، سنان. (2016). الاستبعاد الاجتماعي. جريدة النور. العدد 729.
[25] غصوب، مي. (1991). الأنوثة المغتصبة، بيروت: دار الساقي.
[26] الفتى، مها. (2019). وصاية الحماية (القناع الأبوي الحديث). مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 36.
[27] فروخ، عمر. (بلا تأريخ). حكيم المعرة أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري. بيروت. لبنان: دار لبنان.
[28] محمد علي، حوراء. الاستبعاد الاجتماعي وعلاقته بسلوك الاحتجاج (رؤية نظرية). الجامعة المستنصرية. كلية الآداب.

[29] المعري، أبو العلاء. (1970). سقط الزند. تحقيق: أحمد حسن الزيات. القاهرة: مكتبة الخانجي.
[30] المعري، أبو العلاء. (1980). لزوم ما لا يلزم. تحقيق: عائشة عبد الرحمن، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ج2.
[31] موسى، زهير. (2007). المعري والفلسفة المتشائمة. المجلة العربية للفكر النقدي، العدد 21.
[32] ناصيف، هدى. (2003). المعري ونقده الاجتماعي. مجلة الفكر العربي المعاصر. العدد 89.
[33] نصر، جورج. (2011). اللاجدوى وفلسفة الحياة عند المعري. مجلة الفكر العربي المعاصر. العدد 132.